الفصل السادس

الطائفية وحاكمية الله

فرعونية تتلبس بعمامة إسلامية

ظهرت الفِرق الأولى في الإسلام كأحزاب أو شيع، فقيل شيعة علي وشيعة معاوية، توقف استعمال مصطلح شيعة معاوية عن التداول بعد وفاته، وبقي الاسم ملتصقًا بالموالين لعلي[1]، كان السبب الأولي للخلاف سبب سياسي بحت لا دخل له باختلافات فقهية، ثم ظهر الخوارج حزب جديد بين هذين الشيعتين، كفَّروا الطرفين، وطرحوا مفهومًا جديدًا في الحكم تحت شعار "لا حكم إلا لله".

وضعوا من خلاله معايير وشروط جديدة لمن هو الأصلح في أن يكون ممثلاً أو وكيلاً للخالق في إدارة شؤون خلقه، إن متابعة الحركات والدعوى الطائفية أو المذهبية المختلفة تشير إلى أن أطروحاتها يمكن أن تندرج تحت نفس العنوان، لا حكم إلا لله، فالكل يعتقد بأنه الممثل الوحيد لحاكمية الله في الدنيا، تحت شعار حاكمية الله هذا أباح الخوارج لأنفسهم قتل آلاف المسلمين على امتداد أكثر من قرنين، استخدمت داعش الشعار بنصه الصريح لتسلك أفعالاً قريبة من تلك التي مارسها الخوارج، إلا أن فقهائها طوروا اجتهاداتهم

١- حول تسمية الشيعة بهذا الاسم، وبداية نشوء حركتهم، راجع:

- عبد الله فياض، تاريخ أشيهة الإمامية وأسلافهم من الشيعة، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٦، ص:٣١-٧١.

- أحمد أمين، فجر الإسلام، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٥، ص:٢٦٦-٢٧٨.

- محمد جواد مغنية، الشيعة والتشيع، بيروت: دار الكتاب اللبناني، بلا تاريخ، ص: ٩-١٦.

- كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٢، ج١، ص: ١٧-٢٥٣.

وتصوراتهم الفقهية لتتماشى مع عصر العولمة وشيوع الاهتمام بكرة القدم، فراحت تُجيز قطع رؤوس المشركين من المسلمين للاستعاضة بها عندما لا تتوفر كرات رياضية، لعله قياس على طريقة جواز التيمم بالتراب عند عدم توفر الماء، أو لربما استنكروا اللعب بالكرات الرياضية لأنها من صنع الكفار.

يظل الشعار في حقيقته مبطن أو غارق في لجة من الغموض والإبهام، يطرحه البعض دون تفسير، ويترك للمتلقي حرية تفسيره على أساس ما يمتلك من أوليات لفهم الدين.

تتفق جميع الفرق على أن مصادر التشريع أو أحكام الله، كما يتصوروها، تقوم على مصدرين أساسيين هما القرآن والسُنَّة، واختلفوا في من يفسر الكتاب ومن هو الأكثر موثوقية للاعتماد عليه في نقل الحديث، تعددت الاجتهادات، حصرت الشيعة قبولها بالتفسير ورواية الحديث بما هو منقول عن أئمتهم الاثنى عشر، وتمسكت المذاهب السُنّية بالصحابة باعتبارهم الأقدر على تفسير القرآن ورواية للحديث.. اتفق الطرفان – الشيعة والسُنَّة – على أن إجماع الآراء كمصدر آخر من مصادر استنباط الأحكام الشرعية، أضاف الشيعة العقل كمصدر رابع باعتبار أن الأحكام الربانية لا يمكن أن تتنافى مع العقل السليم، وانقسم السُنَّة بين من تمسك بالنص (الحديث) كما ورد عن الصحابة، وبين من قال بالرأي والقياس وأضاف له المصلحة والاستحسان[1].

أين يجد الإنسان حكم الله في وسط هذه المعمعة، هذا يقول لك لن تجده إلا عند بن حنبل، وذاك عند الشافعي، وآخر يخص أبو حنيفة، أو مالك بن أنس، أو جعفر الصادق، أو الرازي أو الطبري إلى أخر سلسلة المفسرين.. يحمد الإنسان الله لو انتهت هذه السلاسل عند هذا العدد، يأتي بعدهم الشُرَّاح، وشُرَّاح الشُرَّاح.

١- حول الفروق بين اجتهادات الأئمة، راجع: عبد الرحمن الشرقاوي، أئمة الفقه التسعة، بيروت: دار اقرأ، ١٩٨١.

الإنسان ميَّال بطبعه للاعتزاز برأيه، ما أن يقتنع برأي أو اجتهاد عند واحد من هؤلاء الفقهاء أو المفسرين، ويقع الحكم على هواه أو يوافق مزاجه؛ عند تلك اللحظة التي قرأ أو سمع بها، ليؤكد صحة رأيه، يرفض الآخرين ممن لا يقرون على وجهة نظره، الذين سيشعرون نفس الشعور من الامتعاض ممن خطَّئهم، فيقابلون التخطئة بتخطئة.

التصق شعار "لا حكم إلا لله"، في العصر الحديث بأبي الأعلى المودودي، كما فصله في كتابه الخلافة والملك، وكتاباته الأخرى... بعد أن يورد المودودي مجموعة من الآيات التي تشير أن إرادة الله ترفض أي حكم غير أحكامه، فيقول "إن هذا القانون الذي أمرنا الله في الآيات السابقة باتباعه والسير عليه ليس من وسيلة لتبليغه للإنسان سوى رسول الله ﷺ، فهو وحده الذي يوصل أحكام الله وشرائعه إلى البشر، وهو وحده الذي يفسِّرها ويشرحها بقوله وفعله، فالرسول إذن هو ممثل حاكمية الله القانونية في حياة البشر[1]".

من الواضح أنه حدَّد الحاكمية أو كما سماها بالقانون الإلهي أو أحكام الله وشرعته بمصدرين القرآن والسُنَّة، أو هو وكل بها النبي، والنبي كان قد مات منذ قرون عدة، كيف نتابعها إذًا؟ يعتقد أبو الأعلى أن الحاكم التالي هو الخلافة "كنائبة عن الحاكم الحقيقي تبارك وتعالى[2]"، ويشترط بالخلافة أن تكون جماعية بشرط ألا تكون ديمقراطية على شاكلة "الديمقراطية الغربية التي تقوم على مبادئ الحاكمية الشعبية، أما في خلافة الإسلام الديمقراطية فالشعب يسلم بحاكمية الله ويجعل سلطاته محدودة بحدود قانون الله برضاه ورغبته[3]".

يقول المتفقهة وأصحاب شعار أن "لا حكم إلا لله" أن الكتاب حوى كل العلوم، وهو صالح لكل العصور والأزمان، بشرط أن تفهمه وتقرأه بالطريقة التي

١- أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، الكويت: دار القلم، ١٩٧٨، ص: ١٧.

٢- نفس المصدر، ص: ١٩.

٣- نفس المصدر، ص:٢١.

يقرؤونه هم، قراءاتهم تخضع لمدارس واجتهادات محكومة بمصالح ونزوات أصحابها، والظرف السياسي والتاريخي الذي عاشوه.

لا شك أن القرآن كتاب الله الذي: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:٤٢). قد يحتاج الإنسان في بعض آياته إلى معرفة باللغة العربية، ولهجات عرب صدر الإسلام، فيذهب مستعيناً بالمفسرين، ليصطدم في أن بعضهم لا يكتفي بإيضاح سبب نزول الآية ومعناها اللغوي، بل يجد أنهم محكومين بنزعة فرعونية غريبة، تتطلع لأن تشارك الله أحكامه وإرادته، كأن بعضهم يريد أو يميل إلى أن ينتقص من قدر الباري، الذي عطل أحكامه بانتظار، أو أنزلها ناقصة إلى أن يأتي هذا الفقيه ليكملها له.

لو أخذنا مثلاً الآية ٣ من سورة المائدة: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ..... ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم).

لعل الحكم واضح: حرم الله بعض الأكلات، ثم عاد وأباحها عند الضرورة، قد يحتاج الإنسان لتعريف بعض الكلمات في النص، فيحتاج لمن يفسرها له، لكن التحريم والإباحة المشروطة بالاضطرار واضحين مع وعد بالغفران والرحمة للمضطر، ترك الخالق حرية تقدير ظرف الاضطرار، ومقدار الحاجة لمن اضطر، يأتي المفسرون ليتدخلوا بين العبد وغفران ربه، يموضعون أنفسهم فراعنة شركاء لله في أحكامه، الخالق أجاز الأمر عند الاضطرار، ووعد بالغفران.. فبأي حق يتطاول الفقهاء على أمر الخالق وغفرانه، ويتدخلون بينه وبين عباده، ليحددون ما هي حالة الاضطرار، ثم يقرِّرون أو هم يخمنون الكمية التي سمح بها، فيقصرون أو يمطون في غفرانه ويحرمون البشر من هذا الغفران وفقًا لما يرونه ويختلفون عليه من آراء حول ما يجب تناوله من هذه المحرمات حد الشبع أو حد الحاجة التي تضمن الاستمرار بالحياة، من أين

لهم معرفة حدود غفران الخالق وما يريده، وما حكمته في جعل الاضطرار حلال، والغفران في الآية مطلق بدون حدود، لم يشر إلى هذه الحدود التي تجادل بها الفقهاء، بل ترك للإنسان المضطر الحق في تقدير حاجته هو، لا هذا الجالس في صومعته مملوء بالشبع من الطيبات ولا يشعر بمرارة الجوع.

لا شك أن المضطر إما أن يكون في صحراء أو غابة أو مدينة في حالة حرب، أو أي من الأماكن التي لا يتوفر له أكل الحلال بها، وإلا فالإنسان في الوضع الطبيعي قد يأنف حتى من أكل بعض المأكولات مع تأكده من كونها تخضع لشروط الحلال.

سبحان الله كأن الباري أراد أن ينبهنا إلى النزعات الفرعونية عند هؤلاء المفسرين، فقطع الحكم بالآية بقوله الكريم: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)، بما لا يجيز أو يحق لأن يتصور الإنسان أن هناك نقص في أحكام الله ليسد هو هذا النقص، لا يفهم هذا القطع بالحكم بهذه الآية إلا بمعنى: ليخرس من يعتقد أن هناك نقصًا بالإسلام تركه الله للنزعات الفرعونية لتكمله..

يرى أحمد أمين، أن بعض طبقات المفسرين كانت تتصل بالمسلمين من أصول يهودية، نصرانية، مجوسية، يأخذون منهم معلومات عن روايات وقصص "يرونها عن التوراة والإنجيل وشروحها وحواشيها[1]"، تلك هي أول مشكلة من مشكلات "حكم الله"، كل يريدك أن تأخذه بالطريقة التي يتصورها هو، وإلا فالحكم بالتكفير أو الشرك، أو التحريم جاهز.

عند الانتقال إلى المصدر الثاني من تطبيقات حاكمية الله، تأتي السيرة النبوية، وهي ما لا يختلف عامة المسلمين مع المتأسلمين من أصحاب الدعوات البدعية في أنها مصدر من مصادر الشريعة تتمم ما جاء في كتاب الله.

١- أحمد أمين، ضحى الإسلام، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٦، ج٢، ص:١٠٧

لا أدعي العلم بالحديث وفنونه، معرفتي لا تتجاوز ما قرأت عنه في كتابي أحمد أمين "فجر الإسلام" و"ضحى الإسلام" مع بعض الملاحظات هنا أو هناك، غير معني بهذا البحث بما هو صحيح أو معلق أو موقوف، أو مسند أو مرسل وغيرها من شروط مسلم أو البخاري في الحديث ورواته[1] أحمد أمين ٨٢-١٠٥ /ج٢).

قطع الشيعة أمرهم في كونهم لا يأخذون الحديث إلا ما ورد من أئمتهم، لكنا نجد أن الأئمة كانوا يكثرون من الشكوى في زمنهم مما يدسه الشعوبيون والغلاة على أحاديثهم، فمما يروى عن الإمام الصادق قوله: "كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون [أصحاب أبي] آخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم[2]".. لم تقتصر شكوى أئمة الشيعة على الإمام جعفر الصادق بل اشتكى الإمام الرضا بنفس المعنى من الغلاة[3]، ومن قبلهم كان الإمام علي السجاد رابع أئمة الشيعة، يشكو من نفس الظاهرة[4].

كان الغلاة يضعون الأحاديث والروايات في أهل البيت لا حُبًا بآل البيت بل ليكسبوا العامة من محبيهم لأغراض هي في الغالب إما سياسية تنزع للسلطة والحكم، أو شعوبية تهدف لتشويه الإسلام، وزرع الخلافات بين المسلمين، يفسر الباحث د. كامل مصطفى الشيبي أسباب الغلو الذي يدفع الغلاة إلى افتعال هذه الأحاديث عن الأئمة والنبي هو: "أن للغلو والتصوف هدف مشترك؛ هو أن

١- نفس المصدر, ص: ٨٢-١٠٥.

٢- عبد الله فياض، مصدر سابق، ص:١٢-٢١.

٣- نفس المصدر، ص:٨٧-١٢٩.

٤- كامل مصطفى الشيبي، مصدر سابق، ج١، ١٦٢.

يكون للإنسان موضع قدم في الألوهية وتصريف شؤون الدين والدنيا بقدرة غيبية، وهذا هو السبب الذي من أجله رفع الأئمة أولاً إلى الإلهية وارتفع رؤساء مدارس الغلو إلى النبوة ثم استقلوا فارتفعوا إلى الإلهية بأنفسهم[١]".

مما يروى من قصص الغلاة، كشاهد على صحة ما قاله الدكتور الشيبي، قصة عن المختار وهو أول من طرح فكرة المهديه في محمد بن الحنفية، لأنه "أراد أن يحكم باسمه دون إشراكه بالسلطة الفعلية، وعندما هَمَ محمد ابن الحنفية أن يأتي إلى الكوفة، وبلغ ذلك المختار فثقل عليه قدومه، فقال إن في المهدي علامة يقدم بلدكم هذا فيضربه رجل في السوق بالسيف لا تضره، بلغ ذلك ابن الحنفية فأقام بالمدينة ولم يذهب للكوفة[٢].

كثر وضاع للحديث من الطرفين في زمن بني أمية، من يغالي في حب الإمام علي، ومن يغالي في بقية الخلفاء الراشدين، ويضع الأحاديث في مدح آل أُمية[٣] عندما أُخذ عبد الكريم بن أبي العوجاء الوضاع ليضرب عنقه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أُحرِّم فيها وأُحلِّل[٤].

لم ينفرد طه حسين بالقول بهذا الرأي حول أثر الفتنة على الحديث، بل تلك ملاحظة يكاد يصل لها جميع من كتب من المعاصرين حول الحديث سيصل إلى النتيجة التالية:

"إن بدايات الفكر الديني الإسلامي ارتبطت بوقائع الفتنة الكبرى، وإذا كفَّر حملة العلم الأول بعضهم بعضًا، فإن درجة الثقة في معارفهم يجب أن تؤخذ بحذر فعلم ابن عباس مثلاً يختلف كثيرًا عن علم عبد الله بن عمر، علم عبد الله بن مسعود بعيد الصلة عن علم سابقيه، وأحاديث عبد الله بن عمر غير أحاديث

١- نفس المصدر، ص:١٣٨.

٢- عبد الله فياض، مصدر سابق، ص: ١١٥ -١١٦.

٣- أحمد أمين، فجر الإسلام، ص: ٢١٢-٢١٤

٤- نفس المصدر، ص:٢١١.

أبي هريرة، وهكذا... لذلك نرى أن من الخطأ البين إضفاء القدسية على معارفهم جميعًا، والواجب الأخذ عنهم بعد نظر وروية[1]".

على ذكر أبي هريرة، هناك موضوع شغلني منذ سنوات وهو إني ما قرأت كتابًا في الدين، وما سمعت موعظة من مواعظ الواعظين إلا ووجدت أبو هريرة ينبز فيها كراوي للحديث أكثر من غيره من الصحابة الآخرين، حتى لكأن المسلمين يدينون بدين أبو هريرة لا دين محمد بن عبد الله، يقفز السؤال في ذهني عن السبب بحثًا عن تفسير، لكني لم أتابع الموضوع إلى أن اطلعت على البحث القيم الموثق الذي كتبه الباحث المغربي الدكتور مصطفى بو هندي بعنوان: "أكثر أبو هريرة".

يرتبط موضوع أبي هريرة ببحثنا هذا بقوة بآصرتين؛ مرة كونه من الصحابة، وهم السلف الصالح المطلوب، وفقًا لرأي من يقولون بحاكمية الله، أن نقتدي بهم ونتبع سبيلهم، فهو صحابي مميز، ليس كغيره من الصحابة، التجار الجشعين، المشغولين عن صحبة النبي، بجني الأرباح وصفقاتهم التجارية، كما وصفهم أبو هريرة، وهو من جهة أخرى واحد من أهم رواة الحديث ما لا يمكن المرور العابر به، أو تجاوز ذكره.

إن عدد الأحاديث المنسوبة له أو المنقولة عنه قد بلغ عددها ٨٧٤٠ حديث من أصل ٦٢١٦٩ حديث، تمثل نسبة ١٤,٠٥ % من مجموع الأحاديث، وتصل هذه النسبة إلى ٢٦,٢٥ % عند البخاري، ٦٨,٤٩ % عند مسلم[2]... تتعقد لمشكلة عندما يعرف الإنسان أن أبو هريرة كان أميًا لا يجيد الكتابة والقراءة، أي يعتمد على الذاكرة في نقله الحديث.

١- محمود إسماعيل، الخطاب الديني المعاصر بين التقليد والتجديد، القاهرة: ٢٠٠٥ دار مصر المحروسة، ص:٢٩.

٢- د. مصطفى بو هندي، أكثر أبو هريرة، الدار البيضاء: مطبوعات الصباح الجديدة، ٢٠٠٣، ص:٢٣.

كان بإكثاره هذا موضوعًا لتشكيك أُم المؤمنين عائشة بصحة ما يرويه، اتهمته بالكذب صراحة بوجهه يوم قالت له:

– إنك لتحدث عن النبي ﷺ حديثًا ما سمعته منه.

أجابها أبو هريرة:

– يا أَمَةْ طَلَبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة، وما كان يشغلني عنها شيء[1].

كما اتهمه الخليفة الثاني عمر بسرقة أموال المسلمين عندما عينه واليًا على البحرين، وخاطبه قائلاً (برواية أبي هريرة نفسه): "يا عدو الله وعدو الكتاب؛ سرقت أموال المسلمين، ما رجعت بك أميمة إلا لرعية الحمر الحمير"، أميمة هذه هي والدة أبو هريرة، ثم ضربه بدرته[2].

يبدو أن أبو هريرة كان معروفًا بين عموم الصحابة الذين عاصروه من مهاجرين وأنصار بكذبه وتلفيقه للأحاديث النبوية، ما اضطره أن يدافع عن نفسه بقوله: "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة من الحديث،.....إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وأن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل بأموالهم، وكان أبو هريرة يلزم رسول الله ﷺ فيسمع ما لا يسمعون، ويحفظ ما لا يحفظون[3]".

ألا يضعنا تمسك وعَّاظ السلاطين، القائلين بشعار لا حكم إلا لله، بأبي هريرة في محنة وارتباك، بل يضعهم هم قبل غيرهم في تضاد وتناقض: إما أن نأخذه بمحمل الصحابي الجليل ونقبله ككل، وهو هنا وبشهادة الصحيحين البخاري ومسلم ومسند أحمد يعطي صورة غريبة عن الصحابة المشغولين عن النبي ﷺ

١- نفس المصدر، ص:٣٢.

٢- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، ج١، ص:٤٤.

٣- محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق د.علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ج٢، ط١، ٢٠٠١، ص٣١٤.

بصفقاتهم وتجارتهم، ويتركونه مع المسكين أبو هريرة، ما يسقط عنهم ميزة الصحوبية والمرافقة!.

أو أن الرجل كذب عليهم، وهو معروف بكذبه لأم المؤمنين وللخليفة العادل عمر، فكيف يستوي حكم الله بروايات كذاب اتهمه الخليفة عمر بأنه عدو الله وعدو الكتاب، سارق.. ألا يُلزم هذا وعاظ السلاطين أن يصححوا موقفهم مما يتناقلونه من أحاديث قبل أن يتهموا المسلمين بالشرك ويكفرونهم، بل يقطعون رؤوسهم للعب كرة القدم بها.. استعجلنا بذكر أبو هريرة لارتباطه بالحديث، المصدر الثاني من مصادر حاكمية الله.

المصدر الثالث لشريعة حاكمية الله، ما يرددون من سرد الروايات عنه كمثل لليوتيبيا الإسلامية، فترة حكم الخلفاء الراشدين، لكن من أين لنا بأمثال أبو بكر وعمر وعلي، تلك المثالية الإسلامية التي اتسمت بالعدل ونكران الذات والسماحة.

جاء الخليفة الثالث، وهو من المهاجرين الأوائل والعشرة المبشرة بالجنة، صهر رسول الله ﷺ ليحول الدولة الإسلامية إلى إقطاعية خاصة له ولأقاربه، من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم والفُسَّاق، كأنه بمصطلحات اليوم كان خطًا أمويًا مائلاً اندس في الإسلام، أو خلية نائمة تنتظر الفرصة لتعيد لآل أمية زعامتهم لقريش وامتيازاتهم.

عندما سُئل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان عن تبريره للخروج على سنة الخليفتين أبو بكر وعمر بن الخطاب، في تقريبه لأقاربه وعشيرته وتميزهم عن بقية المسلمين والإغداق عليهم بالأموال والمناصب، أجاب "إنهما منعا قرابتهما ابتغاء وجه الله، وأنا أعطي قرابتي ابتغاء وجه الله[1]"، أو كما ورد

١- د. علي الوردي، وعاظ السلاطين، لندن: دار كوفان، ١٩٩٥، ص: ٢٥.

بنص آخر: "أن عمر كان يحرم قرابته احتسابًا لله، أنا أعطي قرابتي احتسابًا لله، ومن لنا بعمر[1]".

أي أن مرضاة الله تتقبل كلا الموقفين، المساواة والعدل بين المسلمين دون تميز أو حساب لصلة القرابة، وتميز القرابة وإغداق الامتيازات عليهم، حتى من كان منهم مَن هو فاسق بشهادة القرآن بفسقه، أو من طرده النبي وأبعده وأجلاه عن المدينة للطائف كما هو مروان بن الحكم، وعبد الله بن سعيد أبي سرح لتطاوله على النبي[2].. يعني يمكن للمسلمين القبول بالشيء وضده لبلوغ مرضاة لله.

إن تفاصيل قصة الشورى واختيار الخليفة الثالث بعد مقتل الخليفة عمر، واستقرار رأي جماعة الشورى على اختيار واحد من اثنين، علي أو عثمان، عرض عبد الرحمن بن عوف عليهما التعهد بالالتزام بكتاب الله وسُنة رسوله وسيرة الشيخين لا يحيد عن شيء من ذلك، رفض علي التعهد بذلك قائلاً:
– اللهم لا، ولكن اجتهد في ذلك رأي ما استطعت.

ووافق عثمان على الالتزام بهذا التعهد[3].. لنراه يجتهد منحرفًا بعيدًا بمسافات كبيرة عن سيرة عمر تقربًا لرضى الخالق كما فسر هو أسباب انحرافه، ونكثه للعهد، ومع ذلك ما زال هناك من يرى أن عثمان مظلوم، وهو على حق في كل انحرافاته فهو صحابي من العشرة المبشرين بالجنة، مع أن مطالب الثوار أو المتمردين منه كانت لا تتجاوز الشكوى للخلاص من ظلم وتجبر أقرباءه من الولاة من الطلقاء، الذين نصبهم بدلاً من صحابة معروفين بسبق إسلامهم وتقواهم، وحسن إسلامهم، مثل سعد بن أبي وقاص، وأبو موسى الأشعري الذين وَلاهما عمر على ولايتي الكوفة والبصرة.

١– طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، القاهرة: دار المعارف، ط١٢، ص:٤٢.

٢– نفس المصدر، ص: ١٢٤. ود.علي الوردي، مصدر سابق، ص: ١٣١.

٣– طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، ص:٤٣.

سعد بن أبي وقاص هو ثالث أو رابع المسلمين الأوائل، عزله عثمان عن الولاية واستبدله بالوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو من يقول المفسرون من نزلت بحقه سورة الفاسق الكذاب: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)، فهو فاسق بحكم القرآن الذي هو حكم رب العالمين، لأنه كذب على النبي وغشه عندما أرسله لجمع أموال الصدقة من بني المصطلق، فعاد ليكذب على النبي ويقول إنهم ارتدوا عن الإسلام، ورفضوا أن يعطوه الصدقات[1].

كان أهل الكوفة يتشكون من شرب واليهم للخمر، ويصلي بهم الصبح أربع ركعات بسبب سكره، ولا يقيم عليه عثمان الحد إلا بعد ضغوطات وشكاوى مستمرة من أهل الكوفة[2]، وهو الذي تعهد بالتمسك بسيرة الشيخين، في حين لم يتردد عمر بإقامة الحد على ابنه بنفسه حتى يموت بين يديه[3]، ألا يمثل هذا الموقف وحده عين الانحراف عند عثمان عن سيرة الخليفة عمر.

يضفي البعض كثيرًا من القداسة على الصحابة، ويخص بها الخلفاء الراشدين، مصدر القداسة هذه هي صحبتهم للنبي، ومكانة النبي تأتي من كونه رسول الله، والله نفسه يلعن من ينكث بالعهد، تعميمًا بدون استثناءات، فمن أحل لهم أن يستثنوا عثمان من أحكام الشريعة لا لشيء إلا لأنه صحابي، يتجاهل ويتحدى إرادة الله بتنصيب الوليد بن عقبة بن أبي معيط الفاسق كما جاء توصيفه بالقرآن، أميرًا أو واليًا على الكوفة، ويكرر فعلته بتعيين قريبه الآخر عبد الله بن سريح، واليًا على مصر، وهو الملعون بالقرآن والمبعد من المدينة بأمر رسول الله ﷺ[4].

١- نفس المصدر، صك ٩٣.

٢- أبو الأعلى المودودي، مصدر سابق، ص:٢٨-٢٩.

- د. هشام جعيط، الفتنة، بيروت: دار الطليعة، بلا تاريخ، ص:٨٠.

٣- د.علي الوردي، مصدر سابق، ص: ٢٧.

٤- طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، ص: ١٢٤

ينقل ابن تيمية في كتابه "السياسة الشرعية" حديثًا عن النبي ﷺ، نصه: "من قلد من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله"، والسؤال: هل تنطبق مواصفات الخيانة هذه على عثمان[1]؟.

لا يعترض أحد على ضرب عثمان لعبد الله بن مسعود حتى يكسر أضلاعه في المسجد وأمام الناس، لمجرد وصول وشاية فاسق على ابن مسعود بأنه كان ينتقد عثمان وانحرافاته عن سيرة الشيخين، ويقطع عثمان عن ابن مسعود عطاءه ويحتجزه في المدينة ويمنع عليه مغادرتها، وابن مسعود صحابي أيضًا فبأي حق يُضرب ويقطع عطاءه[2].. الإطلاع على القصة كاملة في (**طه حسين: عثمان – ص ١٦٠-١٦١**).

يعترض عمار بن ياسر على تصرف عثمان ببيت المال، فيأخذ منه جواهر تتحلى بها ابنته، ويعترض المسلمين (وجلهم من الصحابة)، فيخطب عثمان قائلاً "لناخذ حاجتنا من هذا الفئ وإن رغمت أنوف أقوام"، فيعترض عمار عليه بالقول: "أشهد الله أن أنفي أول راغم"، فيخاطبه عثمان: أعليّ يا ابن المتكأ تجترئ؟ خذوه، ودخل عليه عثمان وضربه حتى أغشي عليه، وخرج محمولا مغشيًا عليه[3].

فبأي حق يُضرب الصحابة من قبل صحابي آخر لا لشيء أو ذنب اقترفوه غير أنهم اعترضوا على انحرافاته عن سلوك ومسار الشيخين.

يعترض صحابي آخر على تكدس الأموال عند قلة من الصحابة وأقرباء عثمان، فيردد أبو ذر آية ٣٤ من سورة التوبة: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ

١- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، السياسة الشرعية، تحقيق أنور الباز، مصر – المنصورة: ٢٠٠٩، ص:٣٤.

٢- طه حسين، مصدر سابق، ص: ١٦٠-١٦١.. هشام جعيط، مصدر سابق، ص: ٧٦.

٣- طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، ص:١٦٧

وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"، فيُمنع من قراءة القرآن ويُبعد ويعذب رغم أنه هو الآخر صحابي[1].

واضح جدًا أن قداستهم هذه ذات نزعة طبقية تميِّز بين فقراء الصحابة وأغنيائهم، تبرر للأغنياء منهم وتجار قريش كل أفعالهم تجاه فقراء الصحابة، لعل هذا دليل آخر يوضح كيف أن الفقهاء لا يمكن أن يمثلوا بعدل وحق أحكام الشريعة أو ما يسمونه حاكمية الله... ألا يحق القول: "إن عثمان، إذ صبَّ جام غضبه على عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر، بعد حدث نفي أبو ذر، إنما مزق أواصر التكافل التي كانت تربط بين الصحابة، وتطاول بشكل خطر على سابقتهم وحصانتهم وهالتهم كقادة وأئمة طبيعيين للمؤمنين، بذلك بالذات ينسف أُسس شرعيته[2]".

تلك هي المقدمات الخارجة على أخلاقيات الإسلام، وكرامة الصحابة ما جعل الباحث هشام جعيط يصل للنتيجة التالية، التي أؤيده عليها كليًا: "أن الإسلام نفسه هو المُشرع ضد عثمان، والإسلام هو الذي سيقتله، فمقتل عثمان انتصار كامل للإسلام المستبطن في الوجدان العربي، على مخلفات الجاهلية، المجسدة في فرع من قريش، الأمويين ورجلهم عثمان[3]".

إن تجريد الإمام أو الصحابي من طبيعته البشرية، هو تجريد اعتباطي لا يلغي حقيقة كونهم بشر بطبيعة إنسانية، مهما أضفيَ عليهم من سمات القداسة، حتى النبي نفسه لم يجرده الخالق من صفاته البشرية، خصه بالوحي وعصمه من الخطأ دون أن يجرده من خصائصه الإنسانية.

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠)

١- نفس المصدر، ص: ١٦٣- ١٦٥.

٢- هشام جعيط، مصدر سابق نص: ٧٧.

٣- نفس المصدر، ص:٦٧.

نحن نعرف أنه ﷺ كان يأكل ويشرب ويتعطر ويحزن، أي أنه كان يجوع ويشعر بالشبع بعد الأكل ويعطش، أن يعصمه من الخطأ فهو القادر على كل شيء، ليس هناك ما يثبت أن العصمة تنتقل بالرفقة والصحبة، فعصمته من الخطأ استثناء من رب العالمين، ليس هناك من دليل شرعي أن العصمة يمكن أن تنتقل بالقرب، أو التفاعل أو العشرة، لا شك أن تأثرهم بالنبي يختلف من شخص لآخر حسب القدرات الشخصية، وفقًا للفروق الفردية بينهم واختلاف مستويات الذكاء، وحتى أثر التجربة الشخصية السابقة على إسلامهم.

إن البشر مختلفة أهوائهم، كما أثبتت العلوم الإنسانية المختلفة، ومهما قيل عن تقوى هذا الإنسان أو ذاك، يبقى الإنسان ومهما يمتلك من الذكاء فوق المعدل الطبيعي أو دونه، يخضع عادة لنزعات الحب والكره، والغضب والفرح يجوع ويعطش، يتأثر بالبرد والحر، وهو ليس مجرد من حب الدنيا وما فيها من حاجات أو لذات، حتى يمكن أن يقال إن حب الآخرة ليس بجوهره الا امتداد لحب الدنيا، فما وعد الله به عباده المؤمنين من لذات الجنة ما هي إلا لذات خبرناها بالدنيا بصورة فنتازيا مثالية، والإنسان محكوم ببيئته التي نشأ بها وما فيها من قيم وثقافة ومثل، تندس في عقله الباطن، وتشكل عنده منظومة من الأفكار النمطية والأحكام المسبقة التي تتحكم في سلوكه حيال الآخرين ومواقف الحياة عامة، تؤثر في إدراكه للأمور، يستوي بذلك البدوي وابن المدينة، من يعيش اليوم أو عاش قبل مئات السنين.

إن اختلاف الأئمة والصحابة بنفس اليوم الذي مات فيه النبي، بين أنصار ومهاجرين، انقسمت قناعات المهاجرين بمن هو الأحق بالخلافة، من يتساءل منهم من هو الأحق بالخلافة؛ أبو بكر أو علي، وإلا ما توزع المسلمين من بعدهم إلى شيعة وسنة، واختلف أئمة السُنَّة فيما بينهم من متمسك بنصية الحديث وقائل بالرأي، كما اختلف علماء الشيعة بين إخباريين يرفضون القول بالاجتهاد وأصوليين يرون في الاجتهاد طريقًا أفضل للتدين والنسك، بل ورغم

إقرارهم بوحدة النص القرآني إلا أنهم اختلفوا في تفسيره، ما يؤكد أنهم كانوا بشرًا مثلنا فرقهم الهوى، أو الاختلافات في القناعات، وطريقة إدراك كل منهم للنص القرآني، والسيرة النبوية، إنهم يقعون جميعًا تحت تأثير العوامل التي تؤثر في عملية الإدراك.

المشكلة أن جميع هذه الأطراف تدعي الفقاهة والقدرة على الاجتهاد، أي استنباط الحكم الشرعي الصحيح وتخطئة الرأي الآخر، إن التأمل الموضوعي الهادئ لموضوع الفقاهة يصل الإنسان إلى قناعة كونها في جوهرها نزعة إنسانية بخصائص فرعونية لمشاركة الخالق في التحكم بخلقه، إن "الشريعة كونها قانون أملته الإرادة الإلهية، لا يمكن لذلك السبب أن يعدلها أي مشروع بشري، سلطة البشر الوحيدة على الشريعة تنحصر في الاجتهاد الذي يتضمن تطبيق مبادئ الشريعة على الظروف المستجدة[1]".

حتى ابن تيمية أكثر الفقهاء تمسكًا بقدسية الصحابة، يقر باحتمالية أن يسقط بعضهم بالخطأ، كتب بذلك كراسًا أو كتيبًا بعنوان "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، يورد فيه الأسباب التي تقف وراء أخطائهم، لكنه مع ذلك يبرر لهم هذه الأخطاء على أنها حسنات، فيملأ جعبة من يميل إليه من الصحابة بآحاد الحسنات، مستندًا على الحديث النبوي: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر"، ثم يعقب على الحديث: "فتبين أن المجتهد، مع خطئه، له أجر، وذلك لأجل اجتهاده، وخطأه مغفور له، لأن درك (يقصد إدراك) الصواب في جميع أعيان الأحكام، إما متعذر أو متعسر[2]".

١- مونتغمري وات، الفكر السياسي الإسلامي، ترجمة صبحي الحديدي، بيروت ك دار الحداثة، ١٩٨١، ص: ١٢٨.

٢- ابن تيمية، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢.

يعرض المودودي اجتهاد ابن كثير على أن تحايل عمر بن العاص على أبو موسى الأشعري في قضية التحكيم على أنه ليس إلا اجتهاد خطأ[1]، والمجتهد يخطئ ويصيب، وله إن أصاب حسنتين وإن أخطأ حسنة، يعني أن الله سيجيز ويحسن إلى عمر بن العاص تحايله وكذبه على الصحابي أبو موسى الأشعري وبقية المسلمين، مع أن حيلة عمر بن العاص تسببت بشق عصى المسلمين وكانت فتنة قادت لقتل مئات الآلاف من المسلمين، وما زالوا يدفعون ثمنها بفتن ومعارك ودماء جارية إلى يومنا هذا، مع ذلك يرى بعض الطائفيين من شيوخ الإسلام، مثل ابن تيمية: إن عمر بن العاص صحابي، يجوز له على ما يبدو أن يخوض في دماء المسلمين.

الصحابة أو بعض الصحابة وليس جميعهم حسب هوى شيوخ الإسلام، يجوز لهم القتل، أو الفتنة، الكذب والتحايل فهم فوق الشريعة، يعلق أبو الأعلى المودودي على رأي بن كثير هذا، بعد أن يقر بضرورة احترام الصحابة وعدم التطاول أو التعدي عليهم"، لكن الأمر الذي لا يقل عن هذا تطاولاً وتعديًا هو محاولة اعتبار خطأ أحدهم إذا - أخطأ - اجتهادًا، لا لشيء إلا لأنه صحابي، وإن أصبح خطأ الكبار اجتهادًا نظرًا لعلو مكانتهم وعظم قدرهم فكيف لنا أن نمنع من يأتون بعدهم من ارتكاب مثل هذه الاجتهادات[2]".

يلوي ابن تيمية الوقائع، ويسرد الأحاديث بعد عصرها وتحريفها ليبرأ معاوية من صفة البغي كما ورد في الآية الكريمة: "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (سورة الحجرات ، الآية:٩)، يعتبر أن البغي لا يمس إيمان الإنسان، ليثبت أن معاوية مؤمن لا يُطعن بإيمانه بسبب خروجه أو قتاله للحاكم أو الخليفة الذي تمت مبايعته من قبل عموم المسلمين.

١- أبو الأعلى المودودي، مصدر سابق، ص: ٩٠.

٢- نفس المصدر، ص: ٩٠.

إن ابن تيمية فقيه نظرية "إن السلطان ظل الله في أرضه" ويكفر الخروج عليه[1]. كما يرى أن طاعة الخليفة أو الحاكم من طاعة الله ولو كان حاكمًا جائرًا. وهو أيضًا يرى في اجتهاد آخر أن البغي حرام عقوبته كما يروي هو ابن تيمية: "قازوق أو كما سماه لواء في استه يوم القيامة[2]"، إلا معاوية وعمرو بن العاص فهم من الصحابة المستثنين من أحكام الشريعة، في موقع آخر من نفس الكتاب يرى أن الباغي فاسق، "ولكن أهل السُنَّة متفقون على عدالة الصحابة[3]"، تلك هي حاكمية الله كما يتعامل معها الفقهاء تحلل وتشرع وفقًا لأهواء المشايخ من وعاظ السلاطين، وحسب هوى الحاكم أو السلطان طمعًا في كسب رضاه وما يجود به، ومن لا يقبل هذه التفاسير والشروح التي يريدنا الإرهابيين المتعصبين أن نلغي عقولنا ونأخذ بها فهو كافر، فاجر أو طائفي، رافضي، مرتد يستحق القتل.

من لا يوافق شيخ الإسلام ابن تيمية على تخريصاته فهو مشرك، كافر.. لم يترك ابن تيمية واحدة من الفرق الإسلامية إلا كفرها واتهمها بالشرك فكل من الخوارج، المعتزلة، الجهمية، علماء الكلام، الشيعة. كما لم يترك أحد من المجتهدين غيره، العلماء، الفلاسفة إلا وكفره، واتهمه بالإلحاد وشكك بإيمانه، كما هو واصل بن عطاء والغزالي، النوبختي والرازي، ابن عربي، ابن رشد والجرجاني، كلهم كفرة مشركون، ما داموا يقولون بما لا يقول به ابن تيمية[4]، فهؤلاء لا يعرفون ما يعرف ابن تيمية عن كون الشرك هو شركان أكبر وأصغر، والإيمان أنواع أصغر وأوسط وأكبر، وباطن وظاهر، وأن المعاصي ثلاثة مراتب، وغيرها من التخريصات.

١- ابن تيمية، السياسة الشرعية ن ص:١٦١.

٢- ابن تيمية، الخلافة والملك، الأردن – الزرقا: مكتبة المنار، ١٩٩٤، ص:١٠٦.

٣- نفس المصدر، ص: ٦٣.

٤- لاحظ على سبيل المثال كتابه: الإيمان، تحقيق وتخريج عصام الدين الصباطي، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٤.

إن مجرد التفكير؛ أي استعمال العقل لمعرفة الحقائق العلمية تغدو حالات كفر وشرك محرم عنده، فهو يرى: "المتفلسفة أسوأ حالاً من اليهود والنصارى، فإنهم جمعوا بين جهل هؤلاء وضلالتهم وبين فجور هؤلاء وظلمهم، فصار فيهم من الجهل والظلم ما ليس في اليهود ولا النصارى، حيث جعلوا السعادة في مجرد أن يعلموا الحقائق، حتى يصير الإنسان عالمًا معقولاً مطابقًا للعالم الموجود[1]".

من الأمثلة الغريبة على تلاعب الصحابة بالشريعة وتفصيلها بالطريقة التي تتناسب مع مصالحهم وأهوائهم وغاياتهم، تفسير معاوية للحديث النبوي في أن عمار ستقتله الفرقة الباغية، فقال إن من قتله هو من جاء به إلى المعركة[2].

من يتحمل وزر الآلاف ممن قتلهم الوهابيون أو داعش اليوم، أم تراهم سيحسبون جرائمهم تلك من قبيل الاجتهادات الخاطئة التي لن يكسبوا منها غير أجر حسنة واحدة للرأس الواحد، من يدري أن لا يفكر الواحد منهم، وهو يحسب حسناته في أنه قد لا يكون جمع بعد، من آحاد الحسنات، ما يكفي لدخول الجنة والفوز بالحور العين وأنهار الخمر، ما يفرض عليه الاستمرار بالقتل من أجل جمع عدد أكبر من آحاد الحسنات تلك، بما يكفي للتكفير عن خطاياه والفوز بالجنة؟!.

لا شك أن منتسبي داعش سيتمسكون بأذيال أبو هريرة تفسيرًا وتطبيقًا لمعنى حاكمية الله التي تلزم المؤمن بها بضرورة الاقتداء بالصحابة، يغدو الكذب وسرقة أموال المسلمين فريضة إسلامية، فها هو الصحابي الجليل أبو هريرة يكذب ويسرق بشهادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأم المؤمنين عائشة، ولا يمس ذلك إيمانه عند الواعظين.

١- ابن تيمية، الإيمان الأوسط، الجزائر العاصمة: الشركة الجزائرية اللبنانية، ٢٠٠٦ ص: ١٢٧.

٢- ابن تيمية، الخلافة والملك، ص: ٩٠.

يبقى القتل، كفريضة من فرائض حاكمية الله، أفتى به لهم شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي يرى جواز قتل تارك الصلاة "مع إسلامه، فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية[1]".

تغدو حاكمية الله وفقًا لمصادرها التي يقول بها ابن تيمية، وابن عبد الوهاب، والمودودي وسيد قطب، قائمة على الأسس التالية:

- من لم يسرق ويكذب متيمنًا بسيرة سيدنا الصحابي الجليل أبو هريرة فهو مشكوك بإيمانه، كافر، مشرك، رافضي.

- من لا يغزو قرى ومدن هؤلاء المسلمين المشركين ولا يقتل ويسرق أموال الأمة على سنة الله ورسوله، التي يمثلها وكيلهما على أرضه محمد بن عبد الوهاب بعد ما وجد الدين الصحيح عند أستاذه ابن تيمية، فهو كافر، مشرك بالله.

- من لا يُكَفر هؤلاء المسلمين المشركين عبدة قبور الأنبياء والأولياء، فهو كافر لا يحظى برضى ابن عبد الوهاب وشيخه ابن تيمية، ولا يدخل ببوتقة إيمانه لا الأصغر ولا الأكبر ولا حتى الأوسط.

دين طائفة منحرفين عن دين الله، مجانين، وجماعات محبطين يعانون من أزمات ونزعات نفسية يتداخل فيها عوامل السيكوباث مع النرجسية وإحساس عميق بالدونية، تتمركز حول ذوات مضخمة تعاني من "أنواتها" المريضة.

في مصر التقط صالح سرية أساسيات هذا الدين والإيمان وتوصل إلى أن:

"الإيمان إقرار بالجنان وتكلم باللسان وعمل بالأركان[2]"، ويبقى المعنى بقلب الشاعر، مع التشديد على أن يكون التكلم باللسان لا بغيره، تبعه محمد عبد السلام فرج الذي انتبه بفضل الإيمان الأوسط ولربما الأكبر أو الأصغر الذي

١- ابن تيمية، الإيمان الأوسط، ص: ١٥٧.

٢- د. رفعت سيد أحمد، تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٩، ص: ٨٢.

اكتشفه عند ابن تيمية، فدعى للجهاد منبهًا المشركين من المسلمين إلى ضرورة مشاركتهم بهذه الفريضة: قتل المشركين من مسلمي مصر ، وسرقة الذهب والمجوهرات من محلات الأقباط.

عندما يفكر هذا المسلم الكافر المشرك المسلم بالتوبة، ويرغب بالعودة للدين الصحيح عند ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، لا تقبل توبته إلا أن يبدأ بمعرفة أصول الدين كما كتبها ابن تيمية في كتابه "رسالة أصول الدين"، نورد على سبيل المثال لا الحصر ، هذه الأصول التي عرفها الاثنان ولم يعرفها غيرهم من مشركي المسلمين:

– "إن المسائل التي هي من أصول الدين، التي تستحق أن تسمى أصول الدين، أعني الدين الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه لا يجوز أن يُقال: لم تنقل عن النبي فيها كلام[1]".. ثم أين هي الأصول؟!.

لا يستبعد الإنسان أن ينبز وعاظ الإرهاب ، من الشعوبيين من طلاب الفتنة بالقول: إن ابن تيمية أوجز بحديثه هذا ألف حديث نبوي، وآية من الكتاب الكريم، فهذه تخريصات لا يعرفها إلا الغارقون بالجهل، ثم يتوسع شيخ الإسلام في تفسير أصول الدين:

– "إن أصول الدين، أما أن تكون مسائل يجب اعتقادها ويجب أن تذكر قولاً، أو تعمل عملاً كمسائل التوحيد ، والصفات والقدر والنبوة أو دلائل هذه المسائل[2]".

على طريقتهم بالاجتهادات والتفقه، إن هذا التعريف الدقيق لأصول الدين يُثبت بما لا يقبل الجدل، انحراف صالح سرية عن جوهر الإيمان كما يراه شيخه ابن تيمية، في تعريفه أعلاه عندما يقول إن الإيمان هو "إقرار بالجنان وتكلم باللسان

١– ابن تيمية، رسالة أصول الدين، دراسة وتعليق يوسف اللبان، القاهرة: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠٥، ص: ١٠.

٢– نفس المصدر، ص: ١٦.

وعمل بالأركان"، إن ابن تيمية حدد بما لا يقبل أي تفسير آخر أركان الإيمان الإيمان ب "القول"، وليس بالتكلم باللسان كما يقول صالح سرية، لأن الببغاء مثلاً يمكن أن يتعلم الكلام ويردد "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله" بلسانه، فهل يصبح بذلك مؤمنًا ولا يدخل النار يوم القيامة، بل تكون الجنة مثواه وسيتمتع بما فيها من حور العين، والولدان المخلدون، وأنهار الخمر، وعناقيد العنب وما إليه من أنعام الحياة الآخرة.

لذلك حدد شيخ الإسلام ابن تيمية الإيمان بـــ"القول" وليس "التكلم باللسان" لأن القول يرتبط بالإنسان فقط، وقديمًا قالت العرب "قال فلان" ولم تقل "تكلم فلان"، إني لأزعم في أني أستطيع أن أسرح بالقارئ على طريقة ابن تيمية وابن عبد الوهاب على عشرات الصفحات مستندًا ببعض الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية، وروايات منقوله عن الصحابة وبعض قدماء العرب، لنتوصل بالنهاية إلى إثبات انحراف صالح سرية عن أصول الدين وحتى تكفيره، حسب مزاجي.

يستمر ابن تيمية على تفسير قوله ويؤكد مصادر معرفته بأصول الدين التي ذكرها وأشبعها تعريفًا في أقواله أعلاه، فيؤكد:

– "إنما يظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان ذلك من كان ناقصًا عقله وسمعه، وله نصيب من قول أهل النار الذين قالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)، إن كان ذلك كثيرًا في كثير من المتفلسفة والمتكلمة، وجهال أهل الحديث والمتفقهة والمتصوفة[1]".

والمعنى يبقى في قلب الشيخ! رغم أن ابن تيمية يتهم من لا يفهم معنى تخريصاته بنقص في العقل، والمعروف أن نقص العقل سواء كان جزئيًا أو كليًا فهو يندرج تحت مفهوم التخلف العقلي المرضي، ويُفترض أن نقص العقل يعفي الإنسان عن مسؤولية مواقفه وسلوكه.

---

١ – نفس المصدر، ص: ١٨.

ومن لم يفهم بعد معنى التوحيد يمكنه العودة إلى كتاب محمد بن عبد الوهاب "التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" ليتعلم أن التوحيد هو اجتناب الشرك، يتجسد الشرك عند ابن عبد الوهاب بالأمور التالية: لبس الأحجبة والتعاويذ، النذر لغير الله، الغلو في الصالحين، الصلاة في قبر رجل صالح، التطير والتنجيم، عدم الصبر على قدر الله، سب الريح، سب الدهر، عدم معرفة الفرق بين الشفاعة الشرعية والشركية، الخروج على طاعة الحاكم ولو كان فاجرًا ظالمًا[1].. وأن يحذر الجاهل من قول "التوحيد فهمناه، إن هذا من أكبر الحمق ومكائد الشيطان[2]".

"إن دراسة ابن عبد الوهاب، كصاحب عقيدة (بقراءة أشهر كتبه التوحيد مثلاً) فسيكتشف أنه مجرد ناسخ لا يمتلك أي ذرة تجديد، وهو ما لم يستحق معه أن يعتبر مفكرًا، فالكتاب الذي ذكرت محشو بالاستشهادات، وهو يبين أن كاتبه ناقل أكثر منه مبدع، وفي الكثير من الكراسات العديدة التي ألفها يتأكد لنا أن نفسه القصير لا يُكسب الإيجاز في التأليف صفات البلاغة[3]".

انتبه وعاظ ابن عبد الوهاب لهذا العيب فيما يسمونه أمامهم المجدد، فراحوا ينشرون كتاباته بكتب بحروف كبيرة، مع حواشي وتعليقات طويلة، فهارس وغيرها، كي يمنحوا مقولاته صفة كتاب، للإيحاء بأنه كان صاحب فكر واجتهادات كبرى.

لو أخذنا كتابه كشف الشبهات، مثلاً، الذي نشره د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، تحت عنوان: "شرح كتاب كشف الشبهات" والذي جاء في ١٣٣ صفحة، هو في جوهره عند رفع المقدمة والفهارس والتعليقات قد لا يتجاوز

١- محمد بن عبد الوهاب، التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الرياض: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، بلا تاريخ.

٢- د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزاني، شرح كتاب كشف الشبهات، ص: ٤٤.

٣- عبد الوهاب المؤدب، أوهام الإسلام السياسي، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٢، ص:٥٦

الـ ٦-٨ صفحات أو على الأكثر ١٠، لو رفعنا منها الاستشهادات لن يبقى أكثر من ٢-٣ صفحة، يكرِّر بها ابن عبد الوهاب نفسه مع إضافة روايات منقولة لا يمكن أن توصف إلا أنها تخريصات أو هذيانات رجل لا يدري ماذا يريد أن يقول، يستغبى الناس والجهال على أن ما يقوله تجديدًا[١].

هذا لا ينكر أن الرجل كان ذكيًا بمفاهيم المرحلة التي عاشها، استغل النزعة البدوية للغزو والنهب والسلب ليلبسها بلباس الجهاد في سبيل إحياء الدين، الغزو عند البدو وسيلة من وسائل العيش، وكسب الرزق، مع تعزيز روح الجريمة والقتل الجماعي غير المبرر عند إتباعه لأهالي القُرى التي يختارها لغزواته، ليرعب ويرهب القُرى الأخرى ما يسهل عليه فتحها أو استسلامها... يبدو أنه كان يوصي أتباعه من الهمج والمتخلفين بالتمادي بالقتل مستندًا للآية الكريمة: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُم)... فالإرهاب هو دين آل سعود الجديد الذي يريدون منه كسب مرضاة الله وغفرانه.

لم يكتفِ ابن عبد الوهاب بتكفير من يختلف معهم، بل بتكفير من لم يكفِّرهم أيضًا[٢]، بنزعة فرعونية غريبة تمثل لمن يتأمل بها التموضع الذي وضع نفسه فيه بمكان الخالق ومشاركته في علمه وأحكامه: "إني لا أعتقد كفر من كان عند الله مسلمًا، ولا إسلام من كان عنده كافرًا، بل أعتقد من عنده كافر كافر، وما صح عن العلماء من أنه لا يكفر أهل القبلة فمحمول على من لم يكن بدعته مكفرة، لأنهم اتفقت كلمتهم على تكفير من كانت بدعته مكفرة، ولا شك أن تكذيب رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه قطعًا كفر، والجهل في مثل ذلك ليس بعذر[٣].

١- لاحظ نص كتاب شرح الشبهات المذكور في الحاشية ٥٠ أعلاه.

٢- أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابي، دار الشورى للدراسات والإعلام، ٢٠٠٣، ٣٠-٣٦

٣- نفس المصدر، ص: ٢٩.

نفس الكلام يكرره بالنص تقريبًا عبد العزيز آل سعود بعد ما يقارب القرن، في رسالته التي كتبها لوالي بغداد العثماني في أوائل القرن الماضي[1]، من أين لابن عبد الوهاب أن يعرف من هو الكافر ومن هو المسلم عند الله؟، أليس هذا هو الشرك بعينه أن يدعي أحد أنه يعرف ما عند الله، من بلغه بهذا، جبرائيل مثلاً أو أنه التقى الخالق؟.

ثم من هم هؤلاء العلماء، تلك لازمة تتكرر في كتابات ابن عبد الوهاب، ويعتبرها حجة على الآخرين، هو لا يذكر غير عالم واحد في كل تخريصاته إلا ابن تيمية، الذي أصبح علماء؟!

بمثل هذا النوع من فتاوى التوحيد، قُتل ويقتل يوميًا الآلاف من المسلمين، حتى لو كان هذا المسلم المشرك من أتباع محمد بن عبد الوهاب نفسه ممن يخرج على طاعة ولي الأمر عبد العزيز آل سعود، كما حصل لقبائل المطير وعجمان، نفس القبائل التي قادها فيصل الدويش ليفرض الوهابية على أهل نجد والحجاز، إلا أن فيصل هذا عاد فارتد على عبد العزيز، بعد أن اكتشف أن ما يقوم به من غزوات لا علاقة لها بالدين، معترضًا على علاقته مع الإنجليز فقُتل هو و٣ آلاف من أتباعه[2].

مازالت نفس الفتاوى تعتمدها داعش وأخواتها لقتل العرب المسلمين من كل الطوائف.

إن وُعَّاظ سلاطين آل سعود، وقد ألبسوا الدين ثوبًا خاصًا بهم، يفصّلونه بما يتناسب مع مصالحهم ومصالح سلاطينهم وأولياء نعمتهم، وخصوا به أنفسهم دون سائر المسلمين، جاهزون للإفتاء بتكفير كل من يخالف الاتجاه السياسي العام للعائلة السعودية، أو من يعترض على بذخها وتبذيرها أموال المسلمين

١- نفس المصدر، ص: ٩٧-٩٨.

٢- ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية، ص: ٢٥٩ -٢٧٠.

بالحرام، أفتوا بكفر القذافى عندما انتقد سياساتهم الماضية تجاه تسوية القضية الفلسطينية: "القذافي كافر وملحد وضال ومُضل ، فضلاً عن ظلمه وطغيانه بتجريحه عباد الله ورميه إياهم زورًا وبهتانًا بالصفات الذميمة مما لا يصدر عن عاقل يحترم نفسه وعقله وإنسانيته، ومع ذلك تجريح دُعاة الإسلام وعلمائه الذين قاموا بنصرة الدين والدعوة إليه وبذل نفوسهم, أموالهم في سبيل إعلاء كلمة الله (ويقصدون أسرة آل سعود)[1]"، وقعها ١٥ من كبار هيئة العلماء.

كلما تصاعدت خلافاتهم السياسية مع أي طرف أو زعيم سياسي قالوا إنه يريد هدم الكعبة، عندما تصاعدت خلافاتهم مع إيران في زمن الخميني، أشاعوا أن الخميني يريد هدم الكعبة، ثم بعد غزو الكويت من قبل صدام حسين، قالوا إن صدام يريد هدم الكعبة، أوحوا لأحد الكتاب السلاطين لأن يصدر كتابًا بعنوان "امنعوا هذا الرجل من هدم الكعبة: صدام حسين[2]"، وبداية هذا العام قالوا إن الحوثيين يريدون هدم الكعبة، وأن مضاداتهم الجوية أسقطت صاروخ موجه لهدم الكعبة.

إن متابعة اجتهادات فقهاء حاكمية الله، تكشف أنها ترتكز على مبادئ أساسية هي:

١: تحريم الخروج على الحاكم، مهما كان جائر أو ظالم، التقط ابن عبد الوهاب هذه الفكرة من ابن تيمية ليحصرها بالعائلة السعودية فقط دون غيرها. مع ذلك يخرج فقهاء الفتنة والإرهاب عن هذه القاعدة لنرى ونسمع يوميًا وعاظهم، يشجعون المؤمنين على الخروج على الحاكم في سوريا وليبيا واليمن باعتبار ذلك جهادًا يفتح لهم باب من أبواب الجنة، لكنهم يحرمون أنفسهم وأولادهم تواضعًا من هذه الفريضة.

١- د. أنور عبد الله، العلماء والعرش، لندن: مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص: ٤٧٥.

٢- أحمد رائف، الكتاب الأسود: امنعوا هذا الرجل من هدم الكعبة – صدام حسين، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٠.

والدور الفلسفي الغريب والمتناقض الذي وقع به ابن تيمية معلم ابن عبد الوهاب هو أن الولاء لمن غَلب بالسيف، مَن يخرج على ولي الأمر، ظل الله في أرضه، كافر يموت ميتة جاهلية، لكن هذا الخارجي الكافر، الميت ميتة جاهلية، إذا تمكن من الانتصار على الحاكم أو على ظل الله، يصبح هو ظل الله الجديد الذي لا يجوز الخروج عليه؟!.

طبعًا لا تنطبق أحكام ابن تيمية هذه على خروج معاوية على خلافة علي، لأن معاوية صحابي، يجوز له في شريعة شيخ الإسلام ما لا يجوز لغيره من المسلمين؟!.

٢: هدم الآثار الإسلامية العربية في الجزيرة، بحجة أنها تمثل حالة شرك بالله، التي لا يمكن أن تفهم إلا نزوع شعوبي لمحو آثار الصحابة التي تؤشر إلى عظمة عبقريتهم التي تفتقت من قلب هذه الصحراء وذاك العيش البسيط لتدمر أعظم إمبراطوريتين في زمانهم.

٣: تقسيم وشق وحدة المسلمين العرب خاصة، ومشاغلتهم بحروب بينية، لإعاقة أي محاولات لوحدة العرب أو تحقيق التنمية والارتقاء لمستوى يتناسب مع أدوارهم التاريخية في بناء الحضارة.

ترجم عبد العزيز آل سعود هذه التوجهات بوضوح، عند محاولته إقناع أتباعه من آل مطير والعجمان الذين طالبوه بالذهاب للجهاد في فلسطين في بداية ثلاثينيات القرن الماضي: "نحن فلا علينا من وحدة البلدان العربية ولا علينا من فلسطين، لأن أهل فلسطين والبلدان العربية جميعهم من الكفار ولا يصلحون لنا وما دمنا نحارب كفار شمر وأهل حائل والحجاز وغيرها، فكيف بنا إذا جاءوا كفار فلسطين والشام والعراق وأهل المغرب والعياذ بالله[١]".

١- ناصر السعيد، مصدر سابق، ص: ٥٦٠.

لا يمثل هذا التوجه الشعوبي المعادي للعرب موقفاً خاص بالوهابية والعائلة السعودية ، بل هو يمثل خط عام يتحكم بتوجهات كل التيارات الإرهابية المتأسلمة ، كما لاحظ ذلك د. رفعت السعيد في كتابه "المتأسلمون: الإرهاب والفتنة الطائفية[1]"، مع أن العرب كانوا مادة الإسلام الأولى، بهم انتصر الإسلام وانتشر ، والله تعالى مجد اللغة العربية في أكثر من ٧ آيات، أما الآخر خاصة الإفرنجة من أهل الغرب فهم أحباب الله ووكلاءه الشرعيين على الأرض آل سعود، وخزانة أموالهم، ومعلميهم الجديرين بكل الاحترام والتقدير.

عند العودة لما يطالبنا به وعاظ وفقهاء حاكمية الله الرجوع له، وهو مصدرهم الأول لهذه الحاكمية ، كتاب الله المجيد نقرأ: "وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)" **سورة الحج.** "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" **السجدة ٢٥.**

كما نكتشف أن الخالق جلَّ جلاله يستنكر على المصدر الثاني لفقهاء الحاكمية، نبيه محمد أن ينصب نفسه وكيلاً على العباد: { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦) } **الغاشية، الآية ٢١-٢٢.**

{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ } **(الأنعام ١٠٧).**

دون ما حاجة لمجتهد أو مفسر أو فقيه، واضح أن الله يحتفظ بحقه في تنفيذ أحكامه لنفسه هو فقط، يؤجلها إلى يوم القيامة، ولم يمنح توكيلاً لأحد حتى لنبيه محمد ليسيطر على العباد ويتحكم بهم، وإلا يبدو أن خلق الجنة والنار، حور العين مقابل توابيت النار ، عبثًا ولعبة تكرم تعالى عن العبث يريد أن يخدع ويضحك بها على عباده ليتبعوه.

١- د. رفعت السعيد، المتأسلمون: الإرهاب والفتنة الطائفية، القاهرة: الأهالي للنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص:٩٣ - ٩٨.

أما ما ورد في بعض من آياته الأخرى بمعنى حكمه وأحكامه فهي تتعلق بأمور خاصة ذات علاقة بزمنها يوم كان الإسلام وليدًا في طور الدعوة يناضل من أجل تأمين قاعدته في المدينة... ألا يعني الخروج أو التجاوز على حق الله الذي خص نفسه به، شركًا وكفرًا، وفرعونية جديدة، تتلبس بلباس الدين.

ألا يحق القول في أن كل من ابن تيمية، ابن عبد الوهاب، سيد قطب، داعش، وأمثالهم من القائلين بحاكمية الله ليسوا إلا نموذجًا من أولئك الذين وصفهم ابن الجوزي "إن إبليس تلبس عليهم بأن الفقه وحده هو علم الشرع... ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها[1]".

فقاهة إبليس هذه تبدو واضحة في كل سطر من كتبهم التي لا تعرف من الدين غير دين: القتل، الحد، الكفر، الشرك، السيف، الجلد، وغيرها ما يعبر عن حقد الشيطان وحزبه أو شيعته على بقية المسلمين والبشرية جمعاء.

ليس فيها ذكر لرحمة الله وغفرانه، واسمه الرحمن الرحيم السلام، الغفور، الرؤوف، الكريم، وغيرها من صفاته الكريمة التي أرسل بها نبيه ليكون رحمة: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء ١٠٧).

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (الزلزلة: ٧)

{ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (الشورى: ٢٥)

{ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ} (هود: ١١٤)

{ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } (الانعام:١٠٨)

{ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (الاسراء:٥٣)

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (العنكبوت:٤٦)

---

١ – جمال الدين أبي الفرج أبن الجوزي البغدادي، تلبيس إبليس، بيروت: دار الفكر، ٢٠١٠، ص: ١٠٨.

{ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (فصلت:٣٤)

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران:٦٤)

{ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (العنكبوت:٤٦)

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } (النساء ٤٨)

وغير ذلك من قيم التسامح، والمحبة، وينسون أن الله جميل ويحب الجمال في عباده خَلقًا وخُلقًا، يشوهون صورة الخالق، وجمالية دينه، ليعرضونه بصورة الجلاد، السادي الذي يتلذذ بتعذيب عباده وقتلهم، سياف لا رحمة عنده في قطع رقاب المسلمين المؤمنين بعفوه ومغفرته، وإحسانه.. فهل حقًا هم مسلمين أو مؤمنين بالله وكتابه ورسله.

بعد كل هذه الاختلافات في الرأي والاجتهادات؛ ليس بين الفرق المختلفة فقط، بل عند الفقيه الواحد الذي يتناقض مع نفسه في أحكامه، وبعد أن يسلبوا عقل المسلم العربي قبل غيره، ويشتتوه بتناقضاتهم واختلافاتهم، يعودوا بنا إلى مصدر جديد من مصادر حكم الله، الإجماع!.

مع أنهم أجمعوا على الفرقة وتفريق وتقسيم المسلمين، يمضون في دجلهم وهلاوسهم يريدون خداعنا على أن نياتهم هي خدمة الإسلام والمسلمين، بدلالة أنهم يشركون الأمة معهم في احتلال عرش الله والاعتلاء فوقه! مستندين في ذلك على حديث نبوي "لا تجتمع أمتي على ضلالة"، مع أنهم اختلفوا أيضًا على نص هذا الحديث ونقلوه بعدة أشكال أو نصوص.

يتصدى سيد قطب – واحد من أشد المتحمسين لشعار حاكمية الله – لموضوع الإجماع هذه، فيرى فيها شركًا بديل لحكم الخالق، لا فرق عنده بين أن يكون المقصود بالإجماع إجماع عامة المسلمين، أو أهل الحل والربط من الفقهاء الذين يسميهم بالمشايخ والدراويش،[1] حتى أنه يطلق عليهم صفة (المهابيل، والمهبولين) نتاج عهد الإقطاع[2]، وصنائع الاحتلال[3]، كما يرفض سيد قطب أن يكون إجماع عموم الجماهير، كتمثيل لحكم الله، فهو يرى بالإجماع (إخضاع الإسلام ومبادئه ونظمه لشهوات الجماهير العارضة، ونزواتها الطارئة، تملقًا للجماهير)[4].

قبل أن يندفع قطب بصرعة التكفير التي عرضها في كتابه "معالم في الطريق"، سنعود لمناقشتها، هو يرفض أيضًا الالتزام بسيرة الصحابة أو الاقتداء بهم كمصدر من مصادر حكم الله، إن اجتهادات "الصحابة مثل أبو بكر وعمر وعلي وابن عباس وابن عمر ومن إليهم" وأقوالهم أو تفاسيرهم للدين جاءت "تلبية للحاجات الواقعة حينذاك"[5]، هي لا تلبي مطالب النسخة الحديثة أو المجددة من حاكمية الله عند قطب، كما يرفض "التعقيدات الفقهية التي جاءت في العصور المتأخرة، والتي تشيع اليأس في رواد الشريعة الإسلامية عن طريق هذا الفقه المعقد، لأنهم يحسبونه أصل من أصول الشريعة، لا تتاح لإنسان معرفة الإسلام إلا بدراسته، على حين أن الأحكام الفقهية لا تزيد على أن تكون محاولات بشرية لتفسير تلك الشريعة وتطبيقاتها تفسيرًا وتطبيقًا

١- سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، : ٦٩.

٢- نفس المصدر، ص: ٧٥.

٣- نفس المصدر، ص: ٦٣.

٤- نفس المصدر، ص: ٦٨.

٥- سيد قطب، نحو مجتمع إسلامي، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٠، ص:٥٢.

صالحًا لفترة معينة من الزمان ومستمدًا من روح هذه الفترة وتصوراتها للحياة[1]".

لا دور للإجماع ولا السلف الصالح أو من تلاهم من الفقهاء في نسخته المجددة هذه، إنه يعتمد في أغلب كتاباته السابقة على معالم الطريق على مجموع الحلول الفردية، التي تتشكل بفعل الفطرة، تلك ملاحظة لم ينتبه لها الكثير ممن درسوا سيد قطب.

تشكل الفطرة، رغم أنه لم يتوقف عندها قليلاً ليعرفها، الأساس الأولي للإيمان الذي سيلزم الإنسان بالتمسك بأحكام الله، يكاد لا يخلو كتاب من كتاباته من الحديث عن أثر الفطرة في تشكل الإيمان، ويتكرر ذكرها أحياناً بالصفحة الواحدة مرتين أو أكثر، حاولت مرة أن أحسب عدد تكراراتها في كتابه "هذا الدين"، وصلت إلى عدد ٥١ مرة ثم ضيعت الرقم، رغم أنه كان قد خصص في الكتاب فصلاً كاملاً بعنوان رصيد الفطرة[2]، إلا أنها بقيت دون تعريف محدد واضح، كما يستوجب ذلك أساسيات مناهج البحث، لمن يطرح أفكار جديدة، أو فكرة رئيسية ذات دور فاعل في بحثه.

عند تأمل كل ما كتبه قطب، بتجرد من الحالة الانفعالية التي يثيرها بكتاباته، مع أو ضد، سيجد الإنسان نفسه أمام كاتب صحفي يجيد فن التحريض والإثارة إجادة مميزة، تحسب له... حتى كتابه "معالم في الطريق"، يسوق فيه مصطلحات مثل "لا عبودية إلا لله، عبودية البشر للبشر، مجتمع حركي، أن يتفرد الإنسان بخصائصه العليا، فطرة الله، التصور الاعتقادي، التجمع العضوي"، وغيرها من مصطلحات وشعارات غامضة توحي للقارئ المستعجل أنها حكمة، أو رأي مميز، تلك خاصية من خصائص التحريض والكتابات الدعائية، يترك للقارئ حرية ترجمتها وتفسيرها.

١- نفس المصدر، ص: ٧٥.

٢- سيد قطب، هذا الدين، بيروت: دار الشروق، ١٩٧٩، ص: ٥١-٦٥.

نورد بعض النصوص من كتابه "معالم في الطريق" ، علَّ وعسى أن نجد من يستطيع فك طلاسمها ، بلغة صريحة مفهومة:

"إن التصور الإسلامي للألوهية ، وللوجود الكوني وللحياة وللإنسان ؛ تصور شامل كامل ، وهو يكره بطبيعته أن يتمثل في مجرد تصور ذهني معرفي لأن هذا يخالف طبيعته وغاياته ، ويجب أن يتماثل في أناس وفي تنظيم حي ، وفي حركة واقعية[١]".

"نحن لا نملك أن نصل إلى التصور الرباني كذلك ، المنهج الذي أراد الله أن يقيم منهج تفكير الناس على أساسه ، ليصبح تصورهم الاعتقادي وتكوينهم الحيوي[٢]".

يكفر كل المجتمعات ويتهمها بالجاهلية ، يدعو إلى تكوين أو تشكيل تجمع عضوي حركي إسلامي ، بقيادة مستقلة عن قيادة المجتمع العبودي أو الجاهلي ، يتولى عملية نقل هذه المجتمعات الجاهلية إلى عبودية الله وحده والإقرار بحاكميته[٣] ، دون أن يقدم أي برنامج واضح لهذا التجمع الحركي الإسلامي غير ما أشرنا له من مصطلحات يشحنها بشحنات عاطفية تدغدغ مشاعر بعض من المستلبة عقولهم.

بعد أن كان ينكر صلاحية اجتهادات السابقين حتى لو كانوا من الصحابة المقربين ، عاد يحسب لتراكمات ما أسماه بـــ"الفقه المعقد" دورها ، فالقيادة الجديدة "المتمثلة في رسول ﷺ الله ومن بعده في كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده وربوبيته وقوانينه وحاكميته وسلطانه وشريعته[٤]".

١- سيد قطب، معالم في الطريق، بيروت: دار الشروق، ٢٠٠٨، ص: ٤٦.

٢- نفس المصدر، ص: ٤٧-٤٨.

٣- نفس المصدر، ص: ٥٧.

٤- نفس المصدر، ص: ٥٦.

هذه القيادة أو التجمع الحركي الإسلامي لا تشبه تلك التي ظهرت في التاريخ الروماني أو البريطاني وغيرها من تجمعات الحقد الأسود كما أسماها قطب؛ التي كانت تقوم أساسًا على إبراز "الصفات الحيوانية وحدها وتنميتها وتمكينها باعتبار أن المطالب الأساسية للإنسان هي الطعام والمسكن والجنس وهي مطالب الحيوان الأولية، باعتبار أن تاريخ الإنسان هو تاريخ البحث عن الطعام!! (علامات التعجب هذه وضعها قطب على النص.. لست أنا)، لقد تفرد الإسلام بمنهجه الرباني في إبراز أخص خصائص الإنسان وتنميتها وإعلائها في بناء المجتمع الإنساني[1]"، واضح أن المسلم الجديد العائد لدين قطب، إنسان – شكل غير وليس غير شكل – لا يأكل ولا يشرب ولا يسكن ولا يلبس، عليه أن يتفرغ حتى الموت لفك ألغاز دين سيد قطب الجديد.

السؤال: أليس هذا انتحارًا؟ والانتحار في الإسلام محرَّم... ثم أليست هذه المطالب الحيوانية هي من صنع الخالق في الإنسان، وهو من زرع فينا تلك الغرائز الحيوانية، فهل يُفهم من قول سيد قطب على أنه اعتراض على خلق (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)، والله تعالى اسمه يؤكد ويخبرنا: كيف نحرر الإنسان من عبودية الإنسان ونعيده إلى عبودية الله وسلطانه وحده، أو بمصطلحات سيد قطب: "كيف تبدأ عملية البعث الإسلامي؟" ويجيب هو نفسه: "أنه لابد من طليعة تعزم هذه العزيمة وتمضي في الطريق، تمضي في خضم الجاهلية الضاربة الأطناب في أرجاء الأرض جميعًا[2]"، أو بتعابير أخرى، ينشأ: "من انتقال أفراد ومجموعات من الناس من العبودية لغير الله إلى العبودية لله وحده بلا شريك[3]"، ما هو الأساس أو المنهج أو النظرية التي يتم بها هذا الانتقال، يرفض قطب أي حديث عن هذا المنهج أو النظرية لأنه يعتقد أن ذلك

١- نفس المصدر، ص:٦٠.

٢- نفس المصدر، ص: ١١.

٣- نفس المصدر، ص: ٩٧.

تمييع لدعوته في العودة لدينه أو إسلامه الجديد، المهم "أن يخلع كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، من التجمع الحركي الجاهلي"[١].

لفهم هذا الخطاب الذي لا يخلو من سمات الهلوسة، لابد أن نتابع قطب إلى الفصل ما قبل الأخير المعنون "استعلاء الإيمان" الذي يفسر لنا الحالة النفسية التي تشكل الأرضية الخصبة لمثل هذه الأفكار التي طرحها قطب في فصول كتابه الأولى، كتب قطب كتابه هذا وهو في السجن، أي أنه كان يعاني من حالة شديدة من الشعور بالظلم أو القمع والاضطهاد، لعل بعض من تعرضوا للسجون الانفرادية شعروا بها، حيث تتفاعل الذكريات مع أحلام اليقظة ممتزجة بهلاوس يستعلي بها الإنسان، أو يحاول لا شعوريًا أن ينتصر بها على إحساسه الحاد بالاضطهاد، كما وصفه قطب نفسه "القوي ينظر من أعلى إلى القوى الطاغية والقيم السائدة،....، والجماهير المتجمعة على الضلال"، "ليواجه الوهن كما يواجه الحزن، هما الشعوران المباشران اللذان يساورا النفس في هذا المقام[٢]".

إنه استعلاء العارف بالحقيقة ليرى العالم من تحته "أشبه شيء بمحاولات الأطفال وخيط العميان[٣]"، ليحقق بذلك التوازن النفسي في لحظة من لحظات ضغط الشعور القوي بالاضطهاد ليقول لهم من الأعلى "إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون[٤]"، محققًا بذلك الانتصار على ضعفه وخوفه وألمه، فهو ليس وحده بل الملأ الأعلى (سكان السماء الخالق والملائكة) يشاركه لتحقيق هذا الانتصار[٥].

١- نفس المصدر، ص: ٥٦.

٢- نفس المصدر، ص: ١٨٠.

٣- نفس المصدر، ص: ١٨١.

٤- نفس المصدر، ص: ١٨٥.

٥- نفس المصدر، ص: ١٩٢.

في لُجّة هذه المشاعر والهلاوس، يستفيق قطب؛ ربما على نداء شرطي أو وقع أقدامه، قاطعًا عليه معاركه الكبرى، ليعود إلى طبيعته وعقله قائلاً: "إن لله حكمة وراء كل وضع ووراء كل حال، مدبر هذا الكون[1] "، لا تجمع حركي إسلامي، ولا قيادة مستقلة، ولا عبودية، ولا تصور اعتقادي، ولا غيرها من الهرطقات، كل شيء بيد الله وقدره، لا يملك قطب أو أي سجين عندها إلا أن "يسير مع دورة القدر في استسلام واطمئنان[2]".. لا يمتلك بعدها إلا أن يسأل: "لماذا يا رب يقع كل هذا".

هذه ليست هي المرة الأولى التي يبحث فيها سيد قطب، في عز الإحساس بالضعف، عن القوة في تخيلاته وهلاوسه: "هذا اللقي الضائع، يملك في لحظة أن يتصل بقوة الأزل والأبد، أن يمتد طولاً وعرضًا في ذلك الكون الهائل، ..... ، يملك أن يستمد قوته من تلك القوة الكبرى التي لا تنضب، ولا تنحسر ولا تضعف، إنه لقادر إذًا على مواجهة الحياة، والأحداث والأشياء بمثل قوتها، فما هو باللقي الضائع، ولا الفرد العاجز[3]".. أي أن تدينه من ذلك النوع الذي يلجأ له الإنسان كحاجة سيكولوجية يريد بها الهروب به من ضعفه.

حاكمية الله الشيعية:

لم يكن فقهاء الشيعة استثناءً، ولا هم يمتلكون حصانة أو عصمة يمكن أن تمنعهم، أو تبعدهم عن مثل هذه التطلعات الفرعونية في أن يتقاسموا مع الله حاكميته، كما هم إخوانهم من فقهاء بقية المذاهب، ظل الاتجاه السائد بين مجتهديهم هو الرضى بدور الفقيه بحدود القول بما يطلقون عليه "الولاية الخاصة"، دور الفقيه الذي لا يجاريه أحد في فهم الشريعة، ما يكفي لمنحه قوة

١- نفس المصدر، ص: ١٩٨.

٢- نفس المصدر، ص: ١٩٩.

٣- سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، بيروت: دار الشروق، ١٩٧٩، ص:٥.

لا يستهان بها على ملايين العقول المغيبة، ما يضمن له ولأولادهم من بعده عيشًا آمنًا مستقرًا برفاهية وأرصدة بنكية تكفي لمواجهة طوارئ الحياة الدنيا عند الأزمات التي تهدد مكانتهم.

إن هذه المكاسب التي تمنحها الفقاهة لم تستوعب على ما يبدو نزعات الخميني للسيطرة والقيادة، والتطلع لمشاركة الباري في حكمه أو تحكمه بالبشرية، فجعل رضاه من رضى الله، وجد في الحديث المنسوب للإمام الصادق كجواب لأحد أتباعه عن جواز أو عدم جواز العودة للسلطان أو والي القضاة في أمر تنازع عليه اثنان من أتباعه، فكان رأي الإمام "من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذه سحتًا، حتى إن كان حقًا ثابتًا له لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يكفر به"، ورأي الإمام أن على المتخاصمين أن "ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكمًا فإني قد جعلته عليكم حاكمًا[1]".

وحديث آخر للإمام الصادق: "إياكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى في شيء من الأخذ والعطاء أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق، اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا، فإني قد جعلته عليكم قاضيًا، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضًا إلى السلطان الجائر[2].

وواحد آخر عن الإمام الغائب: "وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله" ص:٧٧، يعلق الخميني على الحديث "حجة الله تعني أن الإمام مرجع للناس في جميع الأمور، والله قد عينه... كذلك

---

١ – روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية، نشرة لا تشير إلى دار نشر أو تاريخ، ص:٨٦-٨٧.

٢ – نفس المصدر، ص:٨٤.

الفقهاء فهم مراجع الأمة وقادتها، فحجة الله هو الذي عينه الله للقيام بأمور المسلمين فتكون أقواله وأفعاله حجة على المسلمين، ولا يسمح بالتخلف عنها[1]".

الفقيه عنده هو ممثل الله أو ظله على الأرض (طبعًا يقصد بالفقيه نفسه هو وحده)، "إن الراد على الفقيه كالراد على الإمام، والراد على الإمام كالراد على النبي، والراد على النبي كالراد على الله، وهو حد الشرك"، سُلم بسيط بثلاث درجات فقط ليعتلي الخميني على عرش الله!.

على تلك الأحاديث المنسوبة لأئمة آل البيت يبني الخميني نظريته في ولاية الفقيه العامة، بعد أن دعمهما بأحاديث نبوية من قبيل: "العلماء ورثة الأنبياء" و"الفقهاء أمناء الرسل".

ناقش الفقيه الشيعي اللبناني محمد جواد مغنية تجربة الخميني في كتابه "الخميني والدولة الإسلامية" لينقض فقهيًا كل إدعاء الخميني بالأحقية في أن يُنصب نفسه على رأس الدولة الإيرانية، فهو يرى مثلاً أن أحاديث الإمام الصادق هي من قبيل "حصر القضاء والإفتاء بالمجتهد، وهذا شيء والدولة ورئاستها شيء آخر.. وإلا لم يكن هو (الإمام الصادق) ولا أحد من شيعته بقادر على التنفيذ[2]".

نقلاً عن بقية فقهاء الشيعة؛ ليس هناك من "دليل على وجوب طاعة الفقيه كالإمام"، أما الأحاديث النبوية "بعد ملاحظة سياقها أو صدرها أو ذيلها، يقتضي الجزم بها في مقام البيان لوظيفة الفقهاء من حيث نشر الأحكام الشرعية، لا كون الفقهاء كالنبي والأئمة صلوات الله عليهم في كونهم أولى في أموال الناس[3]".

---

١ – نفس المصدر، ص:٧٨.

٢ – محمد جواد مغنية، الخميني والدولة الإسلامية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ص:٧٠

٣ – نفس المصدر، ص:٦٢.

إلا أن تجربة الخميني تختلف عن التجارب الأخرى أنه لم يكفر الناس أجمعين، وجد في الاتجاه الشعبي العام الرافض للهيمنة الأمريكية ما يكفي كسبب لأن يتخذ من التهمة بالعمالة لأمريكا من القوة التي تمكنه للانتصار على معارضيه وأعداءه، لا تقل عن قوة الاتهام بالكفر والشرك عند فقهاء السُنَّة الآخرين، بهذه الطريقة أسقط فعلاً مناهضيه من الفقهاء الآخرين مثل "شريعتمداري" أقوى الفقهاء المطالبين بضرورة أن يظل الفقيه بعيدًا عن السياسة، وأن يعطي الأمة حقها في اختيار حكامها، كما تمكن من عزل نخبة المثقفين الإسلاميين الذين تنسجم تطلعاتهم مع أطروحات "شريعتمداري"، من أمثال الحسن بني صدر.. نفس الأمر تحقق له في إبعاد نائبه الشيخ منتظري الذي كان يطالب بإيقاف الحرب العراقية – الإيرانية. لكن الخميني كسر أصول لعبته في ولاية الفقيه، وتجاوز على قواعد وأعراف الاجتهاد عند الشيعة باختياره نائبه الجديد علي خامئني، الذي لم يكن وقتها قد بلغ درجة الاجتهاد، إلا أن الخميني أصر على ترشيحه لخامئني ومنحه درجة الاجتهاد بطريقة أو بدعة خرج بها على كل قواعد الاجتهاد في الفقه الشيعي، بأن أجرى لخامئني مناظرة تلفزيونية ليمنحه درجة الاجتهاد، ورغم فشل خامئني وتلكؤه في الإجابة على الكثير من أسئلة الخميني، إلا أنه أصر على منحه درجة الاجتهاد من على شاشات التلفزيون بعد انتهاء المناظرة. حتى لو أن خامينى كان قد نجح بالمناظرة، فأصول الفقه الشيعي لا تسمح له تعيين خامئني مع وجود من هو أعلم منه من المجتهدين... يناقض الخميني بهذه السلوكيات نظريته التي قال بها، فهو يرى أن الفقهاء متساوون بالدرجة "إن ولاية الفقيه على الفقهاء الآخرين لا تكون بحيث يستطيع عزلهم أو نصبهم، لأن الفقهاء في الولاية متساوون من ناحية الأهلية[1]"!

منحه صدام الفرصة لمشاغلة الشعب الإيراني بالحرب ليصفي كافة قوى المعارضة اليسارية، فدائي خلق، ومجاهدي خلق وغيرهم ممن لا تنطبق عليهم

---

١ – الخميني، مصدر سابق، ص: ٥١.

تهمة العمالة لأمريكا، فأطلق عليهم مصطلح المنافقين الذين أغضبوا الله بغضب وليه الفقيه بمعارضتهم، حجة الله أو وكيله في أرضه.

بنفس طريقة اللعب امتص الخميني مظاهر الإحباط والجزع، بوقف الحرب العراقية – الإيرانية قبل الوصول للقدس، فمنحه الحظ فرصة نشر سليمان رشدي لكتابه "آيات شيطانية"، ليحول الأنظار بمشاغلة الناس بسليمان رشدي، بإصداره الفتوى بمقتل سليمان، من يدري لعل الله ألهمه ذلك رأفة بكاتب مغمور "سليمان رشدي" ليتحول وبأقل من أسبوع إلى أشهر كُتَّاب العالم.

مهما قيل أو يقال، تظل هذه النزعات أكثر حدة للسيطرة والاستئثار بالتحكم بالبشر، مما هو معروف في علم النفس عن الدوافع الغريزية للسيطرة والتحكم عند بعض الناس، وتصل إلى حد الفرعونية الجديدة، التركيز بتأمل وهدوء لأطروحاتها لا يجد الإنسان أي أثر لتقوى الله ومخافة من غضبه في كل تلك الأطروحات، فالثلاثة الأوائل ابن تيمية، ابن عبد الوهاب، سيد قطب؛ لا يرضيهم في المؤمن أو المسلم الشهادة "أن لا إله إلا الله ومحمدًا رسول الله"، سواء كان ملتزمًا بالفرائض أو لا، ليكتمل إيمانه ويحظى برضاهم، ما لم يُسلم كليًا بتخريصاتهم وهلاوسهم ويلغي عقله وإنسانيته ويتبعهم كما تتبع الأغنام راعيها (كما يقول ابن تيمية)، أما قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء:٤٨]، يبدو إما أنهم يرون هذه الآية مدسوسة على الكتاب الكريم، أو أنها تخريصة من تخريصات رب العالمين (جل ذكره) يريدون بتخريصاتهم وهلاوسهم تصحيحها بقتل المسلمين وتخريب ديارهم ونهب أموالهم!.